ـــ ما كنت تقول هذا الكلام من قبل . كنت تقول اني سارق .

ـــ الحرب .. الحرب تغير .

دوّن سرحان عبارة جديدة في السطر الواقع بين وداعين :

وداعا أيتها الحرب .. وداعا أيها السلام .

أعجبته العبارة ، وأعجبه أن لها معنى لا يحتاج الى برهان . وتأهب لحوار طويل مع النفس : سرحان .. يا سرحان ! لماذا أضعت السلام ؟ كان السلام أيضا في قبضة يدك . وكانت الحبيبة في أوج الصمت . لماذا ضاع منك السلام .

... لأني أضعت الحرب . السلام لا يولد الا من نهاية الحرب ، ولا يسكن الحالة الواقفة بين حربين . رجل أضاع سلاما ، ماذا يفعل ؟ ماذا يفعل ؟ والحرب هاجرت . أو وضعت في زنزانة يحرسها الخصمان . يحرسها الخصمان .. ماذا يفعل ؟

... لا يستسلم .

تدخل السجان قائلا : ستأخذ شيئا يا سرحان .. ظل الشجرة الطالعة على سطح الزنزانة ستكون لك .

ـــ فوقي ولا أراها . مني ولا أبلغها .

القلب بعيد عن العينين ولا يلتقي بهما . هل يرفض القلب العينين ؟

لا أرفض .. لكني لا أضع قلبي في صدر سجاني ، وأعيش بالوساطة .

شجرة الزنزانة لي . أنا أبدعتها . وهي ليست هدية . والسلام شيء آخر .

شيء آخر ، ولا أحارب سدى . وليس لحرب طهارة الينابيع مثل حربي . هي حرب الحب ليكون الحب سيد الطقس والشجر . تغسلني على ضفاف الانهـــار البعيدة ، تمشطني ، تجففني ، وتطهرني . ولا أقتل الا الخطيئة ، وأخلص نفسي والهواء من خطأ يتكاثر .

وفجأة ، جاءه الوطن متعبا . تصبب الضباب من اسمه الذي يغطونه ، في الخارج ، كما يغطون العورة . وأطلت الحرب خلفه بادية التعب كأنها تسير الى جنازتها ، وحولها ضباط يقلدون الابطال . قال سرحان : وداعا أيتها الحرب !.

ثم استدار الوطن الى الخلف كأنه خارج من فضيحة ، واختفى من ثقب الباب الى الافق الغامض المنهمر من كل الاطراف . قال سرحان : وداعا أيهـــا الوطن . وبكى كصفصافة . وحين مد يده الى صدره ، أمسك دقـــات القلب الباقي ، فصاح : الى اللقاء أيها الوطن . وجلس كالنسر .